الفصل الثالث

العدول عن القياس في القرآن الكريم

This file was downloaded from QuranicThought.com

أولاً . العدول عن مصدر الثلاثي (فَعَلَ) المقيس :

في هذا النوع من العدول جاءت صيغ متعددة ، جرى البحث في قسم منها انتقاءً على وفق ما أثارته من دلالات متنوعة ، كي لا يكون ثمة تكرار في بحث المعاني المتشابهة ، ومنها العدول عن (بَعَداً) مصدر الثلاثي (بَعِد) إلى (بُعْداً) مصدر الفعل (بَعُد) ،والعدول من (الخوف) إلى (الخيفة) وعن (القراءة) مصدر (قرأ) المقيس إلى (القرآن) مصدر (قرأ) السماعي ، وكذلك العدول عن اسم المفعول (مسموع) للفعل الثلاثي (سمع) إلى اسم المفعول (مُسْمَع) للفعل الرباعي (أسمع) .

1 . العدول عن المصدر (بَعَداً) إلى المصدر (بُعْداً) :

قال تعالى : [**أَلا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ**] (سورة هود / 95)
يلحظ مجيء (بُعْداً) المصدر غير المقيس لـ (بَعِد) الذي من باب (فَرِح) ومصدره بَعَداً [1] . وفي التفريق بين الصيغتين دلالة أشار إليها الزمخشري ، قال : " المعنى في البناءين واحد ، وهو نقيض القُرب ، إلاّ أنهم أرادوا التفصلة بين البَعَد من جهة الهلاك وبين غيره ، فغيّروا البناء ؛ كما فرّقوا بين ضماني الخير والشر ، فقالوا : وعد وأَوعد " [2] . وفي (بُعْداً) أسلوبٌ من أساليب الدعاء بالمصدر نحو: " سَقْيا ورَعْياً لك ، وسُحْقاً للكافر ؛ إذ فيه معنى الإخبار عن شيءٍ قد وجب وتحصّل ، ومعنى (بَعِدَتْ) : هلكت ، قالت خِرنق بنت هفّان :

لاَ يَبْعِدَنْ قومي الذينَ هُمُ   سُمُّ العُداةِ وآفةَ الجُزْرِ

أي : لا يهلكن [3] .

ودلالة الهلاك في (البَعَدِ) متحققة في الأصل من معنى البُعْد ، الذي هو ضدّ القُرْب ، وليس لهما حَدّ محدود ، وإنما بحسب اعتبار المكان بغيره ، ويقال في الأكثر في

---

(1) ينظر : مختار الصحاح : 57 ، وفيه هو من باب طرب .
(2) الكشاف : 2 / 425 .
(3) المحرر الوجيز : 7 / 389 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

البُعْد المحسوس ، وفي المعقول قليلاً ، ويقال بَعِدَ : مات ، والبَعَد أكثر ما يقال في الهلاك ، ومنه قول النابغة :

فتلك تُبلغني النعمانَ إنَّ له فَضْلاً على الناسِ في الأَدنى وفي البعَدِ

والبُعْد والبَعَد : ضد القُرب (1) . ولتقارب المعنى بينهما قُرِئَ بهما ، قرأ أبو عبد الرحمن السلمي : (**كَمَا بَعُدَتْ ثَمُود**) (2) . على الأصل ، إلاّ أن قراءة الجمهور بالكسر ، والنحّاسُ يَعُدّ (بُعْداً وَبَعْداً) مصدرين للفعل (بَعِد) بمعنى هلك ، ولكنّ الأرجح أَنّ (بَعُد) تستعمل في الخير والشرّ ومصدرها البُعْد ، وبَعِدت تستعمل في الشرّ خاصة ، يقال : بَعِدَ يَبْعَد بَعَداً ، والبَعَدُ على قراءة الجماعة بمعنى اللعنة ، وقد يجتمع معنى اللغتين لتقاربهما في المعنى،فيكون ممّا جاء مصدر على غير لفظهِ لتقارب المعاني" (3).

ولهذا التغاير في الصيغ معنى وهو أَنّ عذاب قوم صالح ، وقوم شعيب كان بالصيحة إلاّ أنّ صيحة ثمود كانت من تحتهم ، وصيحة مدين كانت من فوقهم ، فجاء التغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك (4) .

وهو في الحقيقة عدول عن القياس ، إذ القياس بَعِدَ يَبْعَد بَعَداً ، من باب (فرح) ، وبَعُدَ يَبْعُدُ بُعْداً من باب (كرُم) (5) . ودلالته هنا كما سمّاه أبو حيّان النحوي ، الاستطراد : " وهو أَن تمدح شيئاً وتذمّه ثُمَّ تأتي في آخر الكلام بشيءٍ هو غرضك في أوّله " (6) .

وهنا ذكر I ثمود بالبُعد الذي هو ضدّ القرب أي صارت بعيدة من رحمة الله ، ثم جيء بتوضيح هذا البُعْد بأَنّه هَلاك وفناء ، وهو دلالة صيغة (بَعِدت) ، فَجُمع بين دلالتي البُعْد والهلاك ، ليكون أشنع في العذاب ، وأنكى في العقاب .

---

(1) ينظر : المفردات : ص 133 ؛ وديوان النابغة : ص 20 ؛ وشرح المعلقات ، النحاس : 2 / 166 .
(2) ينظر : اعراب القرآن ، النحاس : 2 / 109 ؛ والمحتسب : 1 / 327 ؛ ومعجم القراءات القرآنية : 3 / 132 .
(3) الجامع لأحكام القرآن : 9 / 62 .
(4) ينظر : تفسير البيضاوي : 3 / 37 ؛ وتفسير أبي السعود : 4 / 238 ؛ وروح المعاني : 12 / 129 .
(5) ينظر : القاموس المحيط ، الفيروزآبادي : 1 / 228 .
(6) البحر المحيط : 5 / 257 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

2 . العدول عن الخوف إلى الخيفة :

جاء العدول عن الخوف إلى الخيفة في قوله تعالى : [**ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**] (سورة الروم / 28) ضرب الله مثلاً لقوم يعقلون في معرض الردّ على المشركين الذين يعبدون من دون الله من مخلوقاته ، بأنَّهم لا يرضون أن يشاركهم في الأموال ونحوها مماليكهم وهم مثلهم في البشرية غير مخلوقين لكم بل لله تعالى لكنهم يرضون بأن يجعلوا لله شركاء من خَلْقِه سبحانه تعالى (1) .

والخوف حاصل منهم بسبب الخشية من أَن يرثوهم بعد موتهم ، أو أنّ الخوف حاصل بسبب خشيتهم من أَن يقاسموهم الأَموال (2) . والخوف في اللغة : " توقّع مكروهٍ عن أمارة مظنونة أو معلومة " وأما الخيفة : فهي الحالة التي عليها الانسان من الخوف " (3) ، أي هي اسم هيئة على نحو الجِلسة والقِعدة ، إذ يقال : فلان حَسَنُ الجِلسة والقِعدة ، أي أنّ جلسته وقعدته حسنة لا تكاد تفارقها هذه الهيئة الحسنة (4) . فيكون معنى الخيفة حالة الخوف الدائمة ، قال الراغب : " قوله تعالى [**تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ**] أي : كخوفكم ، وتخصيص لفظِ الخيفة تنبيهاً أَنَّ الخوف منهم حالةٌ لازمة لا تفارقهم" (5) . ومثله قوله تعالى في قصة موسى (υ) : [**فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ∃ قُلْنَا لا تَخَفْ**] (سورة طه / 67 . 68) لما لازم من حالة الخوف والرهبة موسى (υ) عندما رأى عِصيَّ السحرةِ وحبالَهم أَنَّها تسعى ، قال تعالى : [**قَالُوا يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ∃ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى**] (سورة طه / 65 . 66) .

---

(1) ينظر : جامع البيان : 21 / 38 ؛ وروح المعاني : 7 / 59 .

(2) ينظر : جامع البيان : 21 / 39 .

(3) المفردات : ص 303 .

(4) ينظر : معاني الأبنية في العربية : ص 38 .

(5) المفردات : ص 303 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فتبيّن أنَّ العدول عن الخوف إلى الخيفة للدلالة على إرادة معنى دلالة اسم الهيئة وهي ملازمة لا طارئة على نحو الخوف .

3 . العدول عن مسموع إلى مُسْمَع :

قال تعالى على لسان الذين هادوا في خطابهم للنبي (ρ) : [**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ**] (سورة النساء / 46) .

فالعدول حاصل في مجيء (مُسْمَع) وهو اسم مفعول من (أَسْمَع) ، إذ القياس أن يكون (مسموع) من الثلاثي الذي ورد بصيغة فعل الأمر (اسمع) في الآية ، وإنّما نهي اليهود عن استعمالهم هذه الصيغة لأنها تحتمل المدح وتحتمل الذمّ ، واحتمال المدح فيها متأتٍ من قولهم: أَسْمَعَ فلانٌ فلاناً إذا سَبَّهُ ، فقولهم :[**وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ**] أي : غير مُسْمَع مكروهاً ، واحتمال الذمّ فيه آتٍ من قولهم : اسمع منّا مدعواً عليك . بلا سَمِعْت ؛ لأنه لو أُجيبت دعوتهم عليه لم يسمع ، فكان أَصمّ غير مُسْمَع ، قالوا ذلك اتّكالاً على أَن قولهم . لا سمعت . دعوة مستجابة ، أو اسمع غير مُجاب إلى ما تدعو إليه . ومعناه : غير مسمَع جواباً يوافقك ، فكأنك لم تسمع شيئاً ، أو اسمع غير مسمع كلاماً ترضاه ، فسمعك عنه نابٍ [1] . والصحيح أنّ المراد بقولهم : [**وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ**] ، الدعاء على النبي (ρ) . بلا سَمِعْت ، أي يدعون عليه بالصمم ، وهم يُظهرون أنهم يريدون : اسمع غير مسمَع مكروهاً ولا أَذىً ، وعليه أكثر المفسرين [2] .

ولكنه العدول عن (مسموع) إلى (مُسْمَع) مع أنه القياس ؛ لأن فيه معنى الإلباس الذي يريد أن يُوضّحه النص القرآني محاكاة لحال اليهود في ارادتهم الذم والشرّ ، ولكن بلباس يظهر أوّل ولهة وأنّ به معنى المدح والخير، قال البيضاوي وضعوا : " [**غَيْرَ مُسْمَعٍ**] موضع لا أُسمعْتَ مكروهاً أو فتلاً بها وضماً ما يظهرون من الدعاء والتوقير إلى ما يضمرون من السبّ والتحقير نفاقاً [**وَطَعْناً في الدّينِ**]وطعناً بالدين

(1) ينظر : الكشاف : 1 / 517 ؛ والتفسير الكبير : 1 / 122 .
(2) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : 5 / 157 ؛ وتفسير الخازن : 1 / 365 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

واستهزاء به وسخرية " [1] ، فيكون هذا الكلام في حكم غير المسموع ؛ لأن مالا يرتضيه السامع لا يتوجّه بسمعه إليه حتى يسمع بكماله ، فكأنه غير مسموع [2] . فَخُولِف بين الصيغتين للدلالة على الجمع بلين السماع والإسماع في المعنى لإرادة الإلباس محاكاةً لسياق الحال في الآية .

4 . العدول عن القراءة إلى القرآن :

قال تعالى : [**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ∃ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**]

(سورة القيامة / 17 . 18) وهذا أمر للنبي (ρ) بالاستماع لجبريل (υ) حين يقرأ عليه القرآن لأجل فهم أحكامه وأوامره ونواهيه للعمل به ، قال الطبري : " ودللنا على أن معنى قوله (قرآنه) قراءته فقد بيّن ذلك عن معنى قوله [**فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ∃ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**] " [3] أي: أن معنى (قرآنه) : قراءته [4]. ومنه قول حسان ابن ثابت :

ضَحّوا بأشمطَ عنوانُ السجود به   يُقطّع الليلَ تسبيحاً وقُرآنا

أي : قراءة [5] ، والآية تعليم للنبي (ρ) بعدم العجلة في أخذ القرآن مخافة أن يتفلّت منك بأن تحرك به لسانك ؛ لأنّ الله هو الذي تكفل بإثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي ، بحيث إذا قرأناه عليك بلسان جبريل فكرر قراءته حتى يرسخ في ذهنك [6] .

وبذلك يتبين أنَّ العدولَ عن (القراءة) وهي المصدر المقيس إلى (القُرآن) وهو المصدر السماعي ، عدولٌ مقصود يراد منه بيان دلالة التحرك والمبالغة في قراءة القرآن من أَجل التثبت في معرفة أحكامه للعمل بها، وهو ما تدل عليه صيغة (فُعلان) وهي الحركة والمبالغة ، قال ابن عباس : " إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به " [7] ، في

---

(1) تفسير البيضاوي : 2 / 90 . 91 .
(2) ينظر : حاشية الكازورني : 2 / 91 .
(3) جامع البيان : 29 / 190 .
(4) ينظر : الكشاف : 4 / 661 ؛ والتفسير الكبير : 30 / 224 .
(5) ينظر : المحرر الوجيز : 15 / 215 ، والبيت غير موجود في الديوان .
(6) ينظر : تفسير البيضاوي : 5 / 422 .
(7) المفردات : ص 668 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حين لا يتحقق في القراءة إلاّ معنى " ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل " (1) . فالمراد إذن الإشارة إلى ضرورة الحرص على معرفة معاني القرآن الكريم ، وليس مجرد القراءة .

ثانياً . العدول عن الإفعال :

لقد جاءت صيغ كثيرة في القرآن الكريم معدولة عن (الإفعال) وهو المصدر القياسي للفعل الرباعي (أفعل) ، ولكن وقع الاختيار على نماذج عدة من هذا النوع من العدول لتعدد صيغها المعدول إليها ، وتنوّع دلالاتها على وفق ذلك ، وهذه النماذج هي: العدول عن الإصلاح إلى الصلح ، والعدول عن الإضلال إلى الضلال ، والعدول عن الإقراض إلى القرض ، والعدول عن الإنبات إلى النبات ، والعدول عن الإنشاء إلى النشأة ، والعدول عن الإهلاك إلى المهلك .

1 . العدول عن الإصلاح إلى الصُّلح :

قال تعالى : [**وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتْ الأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**] (سورة النساء / 128)

وفي (يُصلحا) قراءتان : الأولى : (يُصْلِحَا) من (أصلح) وهي قراءة الكوفيين عاصم وحمزة والكسائي ، وهي قراءة أبي عضمْرو من البصريين ، والقراءة الثانية : (يصَّالحا) من (تصالح) وهي قراءة ابن عامر وابن كثير ونافع ، والأولى على معنى الإصلاح الذي هو ضد الفساد ، وفي معنى القراءة الثانية دلالة التصالح (2) . والراجح أنّ في معنى (الصلح) : التصالح ، وهو أن يتصالح الرجل والمرأة على أن تطيبَ له نفساً على القسمة ، او عن بعضها (3) . وقد تراجح عند ابن عطية دلالة (صُلْحاً) أهو على المصدرية أم على الإسمية ، والصحيح أنّه مصدرٌ انتقل إلى معنى الإسمية ، فالصُّلْح لفظ

(1) المفردات : ص 668 ؛ وينظر : البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : 1 / 277 .
(2) ينظر : جامع البيان : 9 / 278 ؛ واتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر : ص 194 ؛ والجامع لأحكام القرآن : 5 / 260 ؛ وينظر : معجم القراءات القرآنية : 2 / 167 .
(3) ينظر : الكشاف : 1 / 571 ؛ وتفسير النسفي : 1 / 252 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

عامّ مطلق ، وهو ما تسكن إليه النفوس ، ويزول به الخلاف [1] . ومجيء (صلحاً) معدولاً به عن (الإصلاح) الذي هو المصدر المقيس للفعل (يُصلح) للدلالة على إرادة المعنيين الصلح والإصلاح ، إذ لا يمكن تصور وجود صلح من دون إصلاح يسبقه ، والإصلاح مستعمل في التنازع والتشاجر ، قال تعالى : [**إلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**] (سورة النساء / 114) [2] . فالصلاح بمعنى الإصلاح [3] ، إذ إنّ التقدير : (أن يُصْلحا بينهما إصلاحاً) ، ونكتة العدول عن (إصلاحاً) هي أنه لما كان المأمور به يحصل بأقل ما يقع عليه اسم الصلح بُني المصدر على غير القياس ، فجاء من الفعل المجرد (يُصلح) وهو (الصلح) ، ويحصل بأن تلين المرأة فتترك بعض المهر أو بعض القسم أو نحو ذلك ، وأن يلين لها هو بإحسان العشرة في مقابلة ذلك [4] . هذا فضلاً عن أن (الصلح) لا يحصل إلاّ بعد إصلاح ، فجاء العدول للدلالة على المعنيين .

2 . العدول عن الإضلال إلى الضلال :

قال تعالى في وصف المنافقين : [**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا**] (النساء / 60) .

في قوله تعالى : [**يُضِلَّهُمْ ضَلالاً**] عدول عن القياس ؛ ولهذا فإنّ (ضلالاً) انتصب " على المعنى أي فيضلون ضلالاً " [5] ، قال أبو حيان : " ضلالاً ليس جارياً على يُضلّهم فيحتمل أن يكون جعل مكان إضلال ، ويحتمل أن يكون مصدراً مطاوع يضلهم أي فيضلون ضلالاً بعيداً " [6] ، فأبو حيان يرى أن ضلالاً في الآية يحتمل أن يكون مصدراً لفعل محذوف مطاوع أضلّ ، أي يريد الشيطان أن يضلهم فيضلون ضلالاً بعيداً . والأرجح أنه معدول عن القياس (إضلال) ، وأما ضلال فهو مصدر

(1) ينظر : المحرر الوجيز : 4 / 247 . 248 .
(2) ينظر : التفسير الكبير : 11 / 67 ؛ والجامع لأحكام القرآن : 5 / 260 .
(3) ينظر : تفسير البيضاوي : 2 / 120 ؛ وحاشية الكازروني : 2 / 120 .
(4) ينظر : نظم الدرر : 5 / 422 .
(5) الجامع لأحكام القرآن : 5 / 171 .
(6) البحر المحيط : 3 / 280 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(ضلّ) ، قال تعالى :[**فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيدًا**] (سورة النساء /116) " والمعنى : أن الشيطان يريد أن يُضلّهم ثم يريد بعد ذلك أن يضلّوا هم بأنفسهم ، فالشيطان يبدأ المرحلة وهم يتمونها ، فهو يريد منهم المشاركة في أن يبتدعوا الضلال ويذهبوا فيه كل مذهب ، يريد أن يطمئن إلى أنّهم يقومون بمهمته هو " [1] .

3 . العدول عن الإقراض إلى القرض :

قال تعالى : [**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**] (سورة البقرة / 245) .

قال الطبري : " إنّما سمّاه الله تعالى ذكره قرضاً ؛ لأن معنى القرض : إعطاء الرجل غيره ماله مملّكاً له ، ليقضيه مثله إذا اقتضاه ؛ فلما كان إعطاء من أعطى أهل الحاجة والفاقة في سبيل الله ، وإنّما يُعطيهم ما يعطيهم من ذلك ابتغاء ما وعده الله عليه من جزيل الثواب عنده يوم القيامة سمّاه قرضاً ، إذا كان معنى القرض في لغة العرب ما وصفناه " [2] إذ القرض في اللغة القطع ثم سُمّي قطع المكان وتجاوزه قَرْضاً ، ثم سمّي ما يدفع إلى الانسان من المال بشرط ردّ بدله قرضاً [3] . قال القرطبي : " القرض اسم لكل ما يلتمس عليه الجزاء ، وأقرض فلانٌ فلاناً أي أعطاه ما يتجاوزه ، أصله القطع ، ومنه المقراض وأقرضته قطعتُ له من مالي قطعة يُجازى عليها ، وانقرض القوم : انقطع أثرهم وهلكوا " [4] . والقرض اسمٌ معدولٌ به عن المصدر المقيس للفعل الرباعي (أقرض) ، أو كما عبّر أبو حيّان بأنه اسم أُقيم مقام المصدر الإقراض [5] . وإنّما قام القرض مقام الإقراض لمعنى مقصود وهو إرادة معنى (القرض) وهو : اسلاف المال بنية إرجاع مثله ، ثم أطلق مجازاً على البذل لأجل الجزاء ، ومنه بذل النفس والجسم رجاء الثواب ، إذ ان المعنى معنى الإقراض فعل القرض وهو السلف [6] . فالمراد إذن بذل القرض وليس فعل

---

(1) معاني النحو ، د . فاضل صالح السامرائي : 2 / 589 ؛ وينظر : التعبير القرآني ، د . فاضل السامرائي : ص 36 .
(2) جامع البيان : 2 / 592 .
(3) ينظر : المفردات : ص 666 .
(4) الجامع لأحكام القرآن : 3 / 156 .
(5) ينظر : البحر المحيط : 3 / 444 .
(6) ينظر : التحرير والتنوير : 2 / 245 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

القرض ، فعُبّر عن نتيجة الإقراض وهي بذل القرض ، فلما لم يكن فعل القرض وهو الإقراض مراداً عُدل عنه إلى القرض الذي " هو بذل شيءٍ ليرد مثله أو مساويه " [1] .

4 . العدول عن الإنبات إلى النبات :

قال تعالى في حق مريم (عليها السلام) : [**وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا**] (سورة آل عمران /37) . قال الطبري : " معناه : وأنبتها رَبُّها في غذائه ورزقه نباتاً حسناً " [2] ، وهي في الحقيقة ، " مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يُصلحها في جميع أحوالها " [3] من بركة هذا النبات الحسن الذي أنبتها الله أيّاها في الدنيا أنها تنبت في اليوم مثل ما ينبت المولود في عام واحد ، وأما في الدين فلأنها نبتت في الصلاح والسداد والعفة والطاعة [4] . ويلحظ في [**وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا**]مجيء (أفعل) في (وأنبتها) ومجيء مصدر الثلاثي (نَبَت) وهو (النبات) في (نباتاً) وذلك من الإعلام " بكمال الأمرين من إمدادها في النمو الذي هو غيب عن العيون وكمالها في ذاتية النبات الذي هو ظاهر للعين،فَكَمُلَ في الانبات والوقوع حسن التأثير وحسن الأثر ، فأَعرب عن إنباتها ونباتها معنىً حسناً " [5] .

عزا ابن عاشور العدول عن الإنبات إلى النبات لكون (نباتاً) أخفّ من (إنباتاً) ، " فلما تسنى الإتيان به لأنه مستعمل فصيح لم يعدل عنه إلى الثقيل كمالاً في الفصاحة " [6] ، وهو تعليل لفظي ، والصحيح إنّ العلة في العدول معنوية وهي كون " الانبات إنما ينظر فيه إلى صنع الله عزّ وجلّ وهو خفيّ ، فعدلت الآية عنه إلى ما هو ظاهر وهو النبات حيث تتجلّى فيه مظاهر الإبداع والقدرة ، فكان ذلك أقوى مناسبة لمقام بيان قدرة الله تعالى ولطف صنعه ، والامتنان على عباده بنعمه " [7] .

---

(1) التحرير والتنوير : 2 / 246 .
(2) جامع البيان : 6 / 344 .
(3) الكشاف : 1 / 358 .
(4) ينظر : التفسير الكبير : 8 / 31 .
(5) نظم الدرر : 4 / 356 .
(6) التحرير والتنوير : 27 / 204 .
(7) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، د . عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي : ص 168 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقد ورد هذا النوع من العدول في سورة نوح ، قال تعالى : [**وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِن الأَرْضِ نَبَاتًا**] (سورة نوح /17) وقد أشار الرازي إلى سر العدول عن القياس في هذه الآية قال وفيه " دقيقة لطيفة وهي أنه لو قال إنباتاً كان المعنى أنبتكم إنباتاً عجيباً غريباً، ولما قال أنبتكم نباتاً كان المعنى انبتكم فنبتم نباتاً عجيباً ، وهذا أَولى لأن الإنبات صفة الله تعالى وصِفة الله غير محسوسة لنا ، فلا نعرف أن ذلك الإنبات إنبات عجيب ، وهذا المقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى فلا يمكن اثباته بالسمع ، وأما لما قال : [**أَنْبَتَكُمْ مِنْ الأَرْضِ نَبَاتاً**] على معنى أنبتكم فنبتم نباتاً عجيباً كاملاً كان ذلك وصفاً للنبات بكونه عجيباً كاملاً ، وكون النبات كذلك أمراً شاهداً محسوساً ، فيمكن الاستدلال به على كمال قدرة الله تعالى ، فكان هذا موافقاً لهذا المقام ؛ فظهر أن العدول من تلك الحقيقة كان لهذا السرّ اللطيف " (1) .

5 . العدول عن الإنشاء إلى النشأة :

قال تعالى على لسان ابراهيم (‌U) وهو يخاطب قومه : [**قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**] (سورة العنكبوت / 20) .

قال الزمخشري : " إنّهما نشأتان ، وإن كل واحدة منها إنشاء ، أي ابتداء واختراع ، وإخراج من العدم إلى الوجود ، لا تفاوت بينهما إلاّ أن الآخرة إنشاء بعد إنشاء مثله ، والأولى ليست كذلك " (2) . فالمعنى اللغوي للنّشْئ : إحداث الشيء وتربيته ، وأكثر ما يُقال في حدوث الشيء شيئاً فشيئاً ، قال تعالى : [**وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ**] (سورة الرعد / 12) أي : يكون حدوثه في الهواء شيئاً فشيئاً ، والانشاء : إيجاد الشيء وتربيته (3).والنشأةُ : مصدر مُؤَكّد لِيُنشِئ ، إذ الأصل (إنشاء) (4) . وقد جاء (النشأة) معدولاً به عن القياس للدلالة على كون المراد ليس حقيقة الإنشاء وهو الإيجاد والإحداث للشيء ومراعاته شيئاً فشيئاً على التدريج ، وإنما يراد نتيجة هذا الإنشاء ، وهي الصورة المتحصلة

(1) التفسير الكبير : 30 / 140 .
(2) الكشاف : 3 / 448 ؛ وفتح البيان : 10 / 179 .
(3) ينظر : المفردات : ص 807 .
(4) تفسير أبي السعود : 7 / 35 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

منه ، والحالة الكائنة إليه ، فالصورة والحالة التي يكون فيها الإيجاد (نَشْأَة) بعد انشاء ، فضلاً عن كونها نشأة واحدة ؛ ولذا " عبر عنها بصيغة المرة لأنها نشأة دفعية تخالف النشأ الأول " (1) .

6 . العدول عن الإهلاك إلى المَهْلَك :

جاء هذا النوع من العدول في قوله تعالى : [**وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا**] (سورة الكهف / 59) .

في الآية عدول عن القياس ؛ إذ القياس أن يكون (وجعلنا لإهلاكهم) هذا على المصدر الاصيل ، أما على المصدر الميمي فكان ينبغي أن يكون القياس (لِمُهْلَكِهم) وعليها جاءت قراءة الحجاز والعراق ، وهي التي عدّها الطبري أولى بالصواب من قراءة عاصم (لِمَهْلَكِهم) بفتح الميم واللام (2) . ولكن الذي يرجح قراءة حفص عن عاصم (مَهْلِكِهم) بفتح الميم وكسر اللام لأنه " قيل : (أهلكناهم) وقد قال قيل : (وتلك القرى) لأن الهلاك إنما حلَّ بأهل القُرى ، فعاد إلى المعنى ، وأجرى الكلام عليه دون اللفظ " (3) . هذا فضلاً عن كون الفعل إذا كان من باب (ضرب) يأتي المصدر الميمي منه على (مَفْعِل) بكسر العين ، ويأتي اسما الزمان والمكان على (مَفْعَل) بفتح اللام (4) . ولمّا كان (هلك) من باب (ضرب) جاء المصدر الميمي منه على القياس وهو (مَهْلِك) ، وهو في الحقيقة معدول عن المصدر المقيس (إهلاك) ، قال الزمخشري : " أي : فضربنا لإهلاكهم وقتاً مَعْلوماً لا يتأَخرون عنه " (5) .

والنكتة في العدول عن(الإهلاك) إلى (المَهْلِك) أي العدول عن المصدر القياسي لـ (أهلك) إلى المصدر الميمي للدلالة على أنّ الهلاك الذي حلّ بهم لم يحصل إلاّ بعد إمهالٍ ليكونوا إلى التوبة أقرب ،إذ ليس المراد التعبير عن الإهلاك ذاته، بل المراد التعبير عن الهلاك الذي سيحلّ بأهل القرى ، إن لم يتوبوا ، هذا فضلاً عن كون الإهلاك يكون في الدنيا ، والمَهْلِك يكون في الآخرة ، أي : فأهلكناهم في الدنيا لما ظلموا أي وقت أن

---

(1) التحرير والتنوير : 20 / 231 .

(2) ينظر : جامع البيان : 15 / 270 ؛ وينظر : اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ، الدمياطي : ص 292 ؛ والحجة في القراءات السبعة ، ابن خالويه : ص 227 ؛ كتاب السبعة في القراءات ، ابن مجاهد : ص 393 ؛ والنشر في القراءات العشر ، ابن الجزري : 2 / 311 ؛ وينظر : معجم القراءات القرآنية : 3 / 378 . 379 .

(3) جامع البيان : 15 / 270 .

(4) شرح الكافية الشافية، ابن مالك : 4 / 2246 .

(5) الكشاف : 3 / 7 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ظلموا ثم جعلنا لِمَهلِكهم في الآخرة موعداً وهو يوم القيامة ، بحيث جعلنا لإهلاكهم وقتاً معلوماً لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون ، فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم [1] .

ثالثاً . العدول عن التفعيل :

جرى البحث في ثلاثة نماذج على هذا النوع من العدول وهي : العدول عن التعجيل إلى الاستعجال ، والعدول عن التسميات إلى الأسماء ، والعدول عن التكذيب إلى الكِذّاب ، وهذه النماذج إنّما تُعبّر عن دلالات متعددة ومتنوعة ، أشير إليها في كل نموذج على حدة .

1 . العدول عن (التعجيل) إلى الاستعجال :

قال تعالى : [**وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**] (سورة يونس/11) .

إذ القياس أن يكون على (تعجيل) " فَوَضْع [**اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ**] موضع تعجيله لهم الخير إشعاراً بسرعة إجابته لهم واسعافه بطلبهم ، حتى كأنّ استعجالهم بالخير تعجيل لهم " [2] ، ومعناه أنَّ الله تعالى لو أجابَ دُعاء الناس بالشر لما لهم فيه مضرة ومكروه في نفسٍ أو مال أو ولد مثل ما يريدون فعله معهم في إجابتهم إلى الخير لأَهلكهم [3] . قال الرازي : " إنّ كل من عجّل شيئاً فقد طلب تعجيله ، وإذا كان كذلك ، فكل من كان معجِّلاً كان مستعجلاً ، فيصير التقدير ، ولو استعجل الله للناس الشرَّ استعجالهم بالخير إلاّ أنه تعالى وصف نفسه بتكوين العجلة وصفهم بطلبها لأن اللائق به تعالى هو التكوين واللائق بهم هو الطلب " [4]. فيكون : " التعجيل من الله ، والاستعجال من العبد " [5] ، وذلك لأن " مدلول عجّل غير مدلول استعجل لأن عجّل يدل على الوقوع واستعجل

(1) تفسير البيضاوي : 3 / 146 ؛ وحاشية الجمل : 3 / 32 .
(2) الكشاف : 2 / 331 ؛ وينظر : التفسير الكبير : 17 / 51 .
(3) ينظر : المحرر الوجيز : 7 / 113 ؛ وفتح البيان : 6 / 24 .
(4) التفسير الكبير : 17 / 51 .
(5) الجامع لأحكام القرآن : 8 / 22 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

يدل على طلب التعجيل وذاك واقع من الله تعالى وهذا مضاف إليهم " [1] ، أي أن الاستعجال مضافٌ إلى الخَلْق .

فتبيّن بذلك أَنَّ العدول عن القياس وهو (التعجيل) إلى (الاستعجال) للدلالة على الطلب والمبالغة الكامنة في صيغة (استفعل)، المنسجمة مع السياق في محاكاة الطبيعة البشرية ، قال تعالى : [**خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ**] (سورة الأنبياء /37) ،وعلى هذا الأساس " ذكر في جانب الشرّ (يُعَجّل) الدال على أصل جنس التعجيل ولو بأقلّ ما يتحقق فيه معناه ،وعبّر عن تعجيل الله الخيرَ لهم بلفظ (استعجالهم) الدال على المبالغة بما تفيده زيادة السين والتاء لغير الطلب إذ لا يظهر الطلبُ هنا " [2]،بل إنّ معنى الطلب باقٍ في صيغة (استفعل) وهذا المعنى فيها وان دلّت على معنى آخر فرعي . فيكون المعنى : لو أن الله يُعجّل لهم الشَرّ مثلما هم يبالغون في طلب استعجال تحقيق الخير [**لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ**] أي : أُهلكوا .

2 . العدول عن التسميات إلى الأسماء :

قال تعالى : [**إِنْ هِيَ إِلا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ**] (سورة النجم/23) إذ القياس (تسميات) لأنه إذا كان الفعل مضعفاً من المنقوص (سَمَّى) كان المصدر المقيس (تفعلهُ)، قال تعالى:[**إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى**] (سورة النجم / 27) ، فهذه الأسماء مقصود بها الآلهة التي كانوا يعبدونها ، وهي : اللات والعُزّى ومناة ، وهي في الحقيقة أسماء لا مسميات تحتها ، فما هذه المنحوتات " إلاّ أسماء سمّيتموها بهواكم وشهوتكم ، ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان تتعلقون به " [3] ، إنّما هي تسميات مجردة من أي واقع ، قال ابن عطية : " أي تسميات اخترعتموها أنتم وآباؤكم ، لا حقيقة لها ، ولا أنزل الله تعالى بها برهاناً ولا حُجّة " [4] .

---

(1) حاشية الجمل : 2 / 336 .
(2) التحرير والتنوير : 11 / 107 .
(3) الكشاف : 4 / 423 .
(4) المحرر الوجيز : 14 / 105 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومجيء لفظ (أسماء) معدولاً به عن (تسميات) مشكلٌ لأن أسماء لا تُسمّى وإنما يُسمّى بها ، وفيه جوابان : لغوي ، ومعنوي ، وأمّا اللغوي وهو أنّ التسمية وضع الاسم ، فيكون المعنى : أسماء وضعتموها ، يقال : سمّيتُه زيداً وسمّيته بزيد ، فسميتموها بمعنى سمّيتم بها . وأما المعنوي فهو أنه لو قال (أسماء سميتهم بها) لاستدعى ذكر مفعول آخر على نحو قولهم : سمّيت بزيدٍ ابني ، فعندها سيكون قد صار للأصنام اعتباراً وراء أسمائها [1] . فالأسماء أَلفاظ ، والمسميات معاني ، والتسميات إطلاق ألفاظٍ على المسميات ذوات المعاني ، قال أبو حيان : " ومعنى الأسماء أي ألفاظ احدثتموها أنتم وآباؤكم فهي فارغة لا مُسميات تحتها " [2].فهي في الحقيقة حجارة نُحِتَتْ وسُميّت آلهة [3] . " وليس فيها شيءٌ من معنى الآلوهية أو للصفة التي تصفونها بها من كونها آلهة وبنات وشفعاء ، أو للأسماء المذكورة فإنهم كانوا يطلقون اللاتّ عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها ، والعُزّى لعزتها ، ومناة لاعتقادهم أنها تستحق أن يتقرب إليها بالقرابين " [4] . وبذلك تبيّن أن سبب العدول عن (التسميات) إلى (الأسماء) لإرادة الوصف الدقيق لواقع تلك الأصنام بأَنّها مجرد ألفاظ لا مدلولات لها ، إذ إن " المراد بالمسمّيات مدلولات الأَسماء سواء أكانت جواهر أَم أَعراضاً أَم معاني أَم معنوية " [5] .

3 . العدول عن التكذيب إلى الكذّاب :

قال تعالى : [**وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً**] (سورة النبأ / 28) . والمقصود بهؤلاء المكذبين مشركو قريش ؛ لأنهم كذّبوا النبيّ (ρ) على الرغم من وضوح الآيات التي جاء بها ، وفي [**كِذَّابًا**] قولان ، أولهما : قول البصريين في كون (كِذّاباً) مصدر (كذّب) الرباعي ، موازناً لمصدر (أفعل) الذي هو الإفعال ، ومثله فاعَل فِعالاً [6] . وثانيهما : قول الكوفيين في كون (كِذّاباً) لغة يمانية فصيحة ، فيقولون : خَرّقتُ القميصَ

(1) ينظر : التفسير الكبير : 28 / 300 .
(2) البحر المحيط : 5 / 310 .
(3) الجامع لأحكام القرآن : 17 / 680 .
(4) تفسير البيضاوي : 4 / 173 .
(5) حاشية الصاوي على الجلالين : 1 / 20 .
(6) معاني القرآن ، الأخفش : 2 / 525 ؛ وجامع البيان ، الطبري : 30 / 16 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

خِرَّاقاً [1] . ولكنّ الذي يبدو أَنَّ (الكِذّاب) مصدرٌ معدولٌ به عن القياس وهو (التكذيب) ؛إذ لكل فِعل مزيد مصدر مقيسٌ لا يتخلف ، فلا يكون العدول عن المصدر القياسيّ إلاّ لمعنى ، ومجيء (الكذّاب) معدولاً به عن (التكذيب) في قوله تعالى : [**وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا**] للدلالة : " على أنهم كذّبوا بجميع دلائل الله تعالى في التوحيد والنبوة والمعاد والشرائع والقرآن ، وذلك يدل على كمال حال القوة النظرية في الرداءة والفساد والبعد عن سواء السبيل " [2]. فيكون معنى (كذّاباً): التكذيب الكبير الشديد [3] . فضلاً عن تضمنه معنى كَذَبُوا ؛ لأن كل مُكَذّب بالحق كاذب ؛ لأَنّهم كانوا عند المسلمين كاذبين ، وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة " [4] ، وهذا هو السر في إقامة (الكِذّاب) مقام التكذيب [5] . " ويجوز أن يكون الكِذّاب للمبالغة وصفاً لمصدر محذوف فالمعنى تكذيباً بالغاً ذلك التكذيب إلى نهاية الكذب " [6] .

ب . العدول عن التفعيل إلى التفعلة :

وردت ثلاث صيغ معدولة من التفعيل إلى التفعلة في القرآن الكريم وهي : (تبصرة ، وتحلة ، وتذكرة) والقياس : التبصير ، والتحليل ، والتذكير؛ لأَن القياس في (فعّل) الصحيح (التفعيل) وفي (فعّل) المعتل الناقص (التفعلة) ، فتكون تلك قد جاءت عدولاً عن القياس قياساً على صيغة (التفعلة) القياسية للأفعال المعتلة الناقصة التي على وزن (فعّل) نحو : وصّى توصية ، وغطّى تغطيةً .

---

(1) ينظر : معاني القرآن ، الفراء : 3 / 229 ؛ وجامع البيان ، الطبري : 30 / 16 ؛ والمحرر الوجيز : 15 / 290 .
(2) التفسير الكبير : 31 / 18 .
(3) الجامع لأحكام القرآن : 19 / 118 ؛ وفتح البيان ، القنوجي : 15 / 39 .
(4) الجامع لأحكام القرآن : 19 / 119 .
(5) ينظر : تفسير البيضاوي : 4 / 240 .
(6) حاشية الكازروني على تفسير البيضاوي : 4 / 240 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

1 . العدول عن التبصير إلى التبصرة :

ورد هذا النوع من العدول في قوله تعالى : [وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ∃ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ] (ق / 7 . 8) .

والعدول في (تبصرة) كونها مصدر الفعل الصحيح (بَصَّرَ) والقياس فيه (تبصيراً) ، وقد جاء المصدر (تبصرة) عدولاً عن القياس ، وهو بمعنى التبصير الذي هو : التعريف بحاسّة البصر ، قال تعالى : [وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ∃يُبَصَّرُونَهُمْ] (سورة المعارج / 10 . 11) " أي : يعرفونهم " [1] فالله I يُبَصِّرُ الحميمَ الحميمُ حتى يعرفه [2] ، فيكون التبصير: التعريف بالبصر [3] . ولكن في معنى التبصرة : التبصير ؛ " أي : تبصيراً وتبياناً . يقال : بصّرتُه تبصيراً وتبصرةً ، كما يقال : قدّمته تقديماً وتقدمةً ، وذكّرته تذكيراً وتذكرة " [4] . إلاّ أنه في معنى التبصرة دلالة يُرجّحها السياق وهي دلالة كون هذا التبصير لمرة واحدة ؛ إذ هو خاص بكل عبدٍ منيب ، فضلاً عن معنى التفعلة الذي هو ما يؤدي إلى الشيء ، فيكون معنى التبصرة : ما يؤدي إلى الإبصار [5] .

2 . العدول عن التحليل إلى التحلة :

قال تعالى : [قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ] (سورة التحريم / 2) .

نزلت هذه الآية بعد أن حرّم النبي (ρ) على نفسه زوجه أُم ابراهيم مارية القبطية فلم يقربها حتى أخبرت عائشة [6] ، فأنزل الله قوله مخاطباً النبي (ρ) :

---

(1) تفسير غريب القرآن ، ابن قتيبة : ص 485 .
(2) ينظر : جامع البيان : 29 / 73 .
(3) ينظر : اختلاف صيغ الفعل المشتقة من جذر واحد في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير تقدم بها هلال علي محمود إلى كلية الآداب . جامعة الموصل ، 2000 : ص 228 .
(4) المفردات : ص 128 .
(5) معاني الأبنية في العربية : ص 39 .
(6) ينظر : لباب النقول في أسباب النزول : 1 / 217 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

[يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] (سورة التحريم / 1) . وفي شرع الله بعد تحريم النبي (ρ) تَحلّة الأَيمان وهي الحنث في القسم إلاّ إذا كان في معصية ، وتحلَّة مصدر الفعل (حلّل) نحو : كرّم تكرمه [1] . وهو " ليس مصدر مقيساً ، والمقيس التحليل والتكريم ، لأن قياس (فعّل) الصحيح هو التفعيل " [2] ومجيئه معدولاً إلى تحلةً للدلالة على خصوصية في هذا التحليل ، وهو كونه خاصاً بتحليل اليمين ، وهو كفارة القسم ، فضلاً عن كون معنى صيغة التفعلة ما يؤدي إلى الشيء ، فيكون معنى [**تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ**] : ما يؤدي إلى تحليلها بالكفارة .

(1) ينظر : النهر الماد ، أبو حيان : 8 / 288 .

(2) البحر المحيط : 8 / 288 ؛ وينظر : روح المعاني : 28 / 148 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

رابعاً . العدول عن المفاعلة :

جاءت ثلاثة نماذج على هذا النوع من العدول وهي : العدول عن المجازاة إلى الجزاء ، والعدول عن المجاهدة إلى الجهاد ، والعدول عن المعاهدة إلى العهد ، وسنتناول العدول عن المبايعة إلى البيع ، والعدول عن المعاهدة إلى العهد ، لأنه عدول من الوضوح بمكان .

1 . العدول عن المبايعة إلى البيع :

جاء هذا النوع من العدول في موضع واحد في سورة التوبة ، قال تعالى : [**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَالْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**] (سورة التوبة / 111) .

العدول حاصل في المخالفة بين مصدر الفعل (بايع) الذي هو المبايعة والمجيء بمصدر الفعل (بايع) الذي هو البيع ، فصار الكلام بايع بيعاً وفي هذا العدول نكتة دلالية وهي الإشعار بكون هذا البيع ليس كأَيّ بيع الذي هو بمعنى "إعطاء المثمَّن وأَخذ الثمن " [(1)] ، ولكن المقصود بالبيع في الآية المبايعة ؛لأنّ بايع الذي على وزن (فاعل) لم يأت في القرآن الكريم إلاّ للدلالة على البيعة ، وهي عهد بين النبيّ (ρ) وبين المؤمنين لبذل الطاعة [(2)] . ومجيئه معدولاً عن المبايعة إلى البيع للإشعار بكون هذا البيع مغايراً لسائر البيوع فإنّه بيع للفاني بالباقي [(3)] .

2 . العدول عن المعاهدة إلى العهد :

قال تعالى : [**أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**] (سورة البقرة / 100) ، وهذه الآية وصف لليهود في نقضهم الوعد ، ومن ذلك

(1) المفردات : 155 .
(2) ينظر : اختلاف صيغ الفعل المشتقة من جذر واحد في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير تقدم بها هلال علي محمود إلى كلية الآداب . جامعة الموصل ، 2000 : ص 170 .
(3) ينظر : تفسير أبي السعود : 3 / 196 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

تكذيبهم للنبي (ρ) مع أنه قد أخذ الله منهم العهد في تصديقه ، قال الله : [**وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ**] (سورة البقرة / 101) .

و(العهد) معدولٌ به عن (المعاهدة) وإن كان أقرب إلى الأسمية منها إلى المصدرية ؛ ولذا قيل : هو اسم مصدر وليس بمصدر ، وقد جاء نصبه على أنه مصدر ، أو تضمَّن (عاهد) معنى (أعطى) [1]. والصحيح أنه مصدر انتقل معناه من المصدرية إلى الإسمية ، فالعَهْد : حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال ، من قولهم : للمطر : عَهْدٌ، وعِهاد ، وللروضة التي أصابها المطر روضة معهودة ، على اعتبار معنى التفقد والمراعاة ، ومنه سُمّي المَوْثِق الذي يلزم مراعاته وحفظه عَهْداً [2] . والعهد المقصود هو العهد الذي كان بينهم وبين الله تعالى ، كان قد أخذه عليهم إن خرج النبيّ العربي آمنوا به ،وأخرجوا المشركين من ديارهم، وأن لايعينوا أحداً من الكافرين عليه ، ولكنهم نقضوا العهد ،مع ما أظهر الله Y " من الدلائل الدالة على نبوة محمد (ρ) ، وعلى صحة شرعه ، " فكان ذلك كالعهد منه سبحانه وقبولهم لتلك الدلائل كالمعاهدة منهم لله سبحانه وتعالى " [3] ، وسمة نقض العهود والغدر سمة اليهود ، وفي ذكر ذلك تسلية لرسول الله (ρ) ؛ لأن من يُعتاد منه طريقة معينة ، لا يكون فيه صعوبة على النفس من مخالفته ، كصعوبة من لم تجد عادته بذلك [4] .

وقد عُدل عن القياس للدلالة على كون هذا الموثق المأخوذ عليهم عهداً لازماً للحفظ والرعاية في ذمتهم ، فلا مجال لديهم لنقضه ، فهو ليس معاهدة وإنما هم عاهدوا أي تكفلوا بحفظ عهد واحد من العهود ورعايته وهو الإيمان بالنبيّ (ρ) ، وقد أُخذ عليهم هذا العهد في التوراة حتّى سميت التوراة بالعهد ؛ قال ابن عاشور : " والمراد بالعهد عهد التوراة أي ما اشتملت عليه من أَخْذ العهد على بني اسرائيل بالعمل بما أُمروا به أخذاً مكرراً حتّى

---

(1) ينظر : المحرر الوجيز : 1 / 412 ؛ والبحر المحيط : 1 / 324 ؛ وتفسير أبي السعود : 1 / 135 .
(2) ينظر : المفردات : ص 591 . 592 .
(3) التفسير الكبير : 3 / 183 .
(4) تفسير غرائب القرآن ورغائب الرحمن ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري : 344/1 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

سُمّيت التوراة بالعهد ، وقد تكرر منهم نقض العهد مع أنبيائهم ومن جملة العهد الذي أخذ عليهم ، أن يؤمنوا بالرسول المُصدِّق بالتوراة " [1] .

ولعلّ في العدول عن المعاهدة إلى العهد سرّاً لطيفاً وهو أنّ النقض الذي نقضوه هو العهد ذاته ، فكأنهم ناقضين لحقيقة العهد بحيث لا يؤمنون بوجود عهد أَصلاً ؛ ولذا عُبّر عن عد اعتقادهم به بقوله تعالى : [**نَبَذَهُ**] ، ومعنى النبذ " إلقاء الشيء وطرحه لقلّة الإعتداد به ، ولذلك يقال : نبذته نَبْذ النَعْل الخَلِق " [2] . وقطعاً فالمعاهدة هذه ليست كالعهد ، فهم يدخلون في المعاهدة ولا يلتزمون بالعهد ، وينبغي التنبيه على أنّ من العلماء من أعرب (عهدا) هنا مفعولاً به ، على اعتبار أن معنى عاهدوا أعطوا [3] ، ولذلك قيل إن (عهداً) هنا أقرب إلى الاسمية .

---

(1) التحرير والتنوير : 1 / 100 .

(2) المفردات : ص 788 .

(3) ينظر : حاشية الجمل : 1 / 84 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

خامساً . العدول عن التفاعل :

تناول هذا المبحث ثلاثة نماذج من العدول في هذا النوع وهي : العدول عن التداين إلى الدين،والعدول عن التعالي إلى العلو، والعدول عن التواعد إلى الميعاد ، وهذه هي النماذج التي وردت في القرآن الكريم .

1 . العدول عن التداين إلى الدَيْن :

قال تعالى : [**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ**] (سورة البقرة / 282) .

ومجيء (دَيْن) معدولاً به عن (التداين) لأنه هو المصدر القياسي للفعل ، (تداين) للتأكيد على رأي الأخفش (ت 215 هـ) لأن (تداينتم) يدل على وجود الدين نحو قول رؤبة :

داينتُ أروى والديونُ تُقضى فَمَطلتْ بَعْضاً وأَدّت بَعْضاً

فلم يقل : داينت أروى بدين [(1)] . وقيل إنّ ذكر (بدين) لبيان حُكم الدين دون حكم المجازاة ؛ لأن من العرب مَنْ يقول : : تداينا بمعنى تجازينا ، وبمعنى تعاطينا الأَخذ والإعطاء بدين [(2)] . ويكون بمعنى : إذا تعاملتم بدين مؤجّل فاكتبوه ، فضلاً عن بيان نوعه بين كونه حالاً أو مؤجّلاً [(3)] . فذكر (بِدَيْنٍ) لتخصيص معنى (التداين) للمعاملة بالدَين ؛ لأنّ التداين والمداينة تدل على المجازاة والمعاطاة ، وإن كان في معنى الدين الأخذ والعطاء [(4)] .

كما أنَّ معنى التداين : " بيع الدين بالدين وهو باطلٌ ، فلو قال : إذا تداينتم لبقي النص مقصوراً على بيع الدين بالدين وهو باطل ، أمّا لما قال [**إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ**] كان المعنى : إذا تداينتم تدايناً يحصل فيه دين واحد ، وحينئذٍ يُخْرَج عن النص بَيْع الدين بالدين ، ويبقى بيع العين بالدين ، أو بيع الدين بالعين فإنّ حاصل كل واحد منهما دين واحد لا غير" [(5)]، إذ ان الدَيْن في الشرع " عبارة عن كل معاملة كان أحد العوضين فيها

---

(1) ينظر : معاني القرآن : 1 / 189 ؛ والكشاف : 1 / 324 ؛ وينظر : ديوان رؤبة : ص 79 .
(2) ينظر : جامع البيان : 6 / 46 ؛ والمحرر الوجيز : 2 / 500 .
(3) ينظر : الكشاف : 1 / 324 .
(4) ينظر : تفسير النسفي : 1 / 135 .
(5) التفسير الكبير : 7 / 17 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

نقداً والآخر في الذمة نسيئة ، فإنّ العين عند العرب ما كان حاضراً والدين ما كان غائباً " [1] .

إذن فالعدول عن (التداين) إلى (الدين) لنكتة دلالية نبّه عليها البيضاوي بقوله : " وفائدة ذكر الدين أن لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه إلى المؤجّل والحالّ وأنه الباعث على الكتبة " [2] .

2 . العدول عن التعالي إلى العُلُوّ :

قال تعالى في تنزيه ذاته العلية:[**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا**] (سورة الإسراء /43) وذلك في معرض الردّ على الكافرين ، قوله Y : [**قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً**] (سورة الإسراء / 42) .

فالعدول حاصل في (تعالى علوّاً) وليس (تعالياً) فهو عدول عن القياس ، إذ جاء مصدر (تعالى) عُلّوّاً وليس تعالياً [3] . والمراد المبالغة في البراءة والنزاهة ممّا وصفوه به جلّ في علاه [4] . قال البقاعي : " و[**تَعَالَى**] أي علا وعظم العلو بصفات الكمال [**عَمَّا يَقُولُونَ**] من هذه النقائض التي لايرضاها لنفسه أحد من عُقلاء خلقه ، فضلاً عن رئيس من رؤسائكم ، فكيف بالعليّ الأعلى " [5] . والنكتة في العدول عن المصدر المقيس (تعالياً) إلى مصدر الفعل الثلاثي (علوّاً) لإرادة تحقق المعنيين ، معنى المبالغة في (تعالى) ، ومعنى التجرد في (علوّاً) إذ إنه قد " أتى بالمصدر المجرد في قوله (عُلُواً) إيذاناً بأنّ الفعل مجردٌ في الحقيقة وان أتي به على صيغة التفاعل إيذاناً بالمبالغة " [6] ، فمجيء (علواً) إذن معدولاً به عن (التعالى) " للدلالة على أن التعالى هو للاتّصاف بالعلوّ بحقّ لا بمجرد الادّعاء " [7] .

(1) الجامع لأحكام القرآن : 3 / 243 ؛ وينظر : فتح البيان : 2 / 146 .
(2) تفسير البيضاوي : 1 / 269 ؛ وتفسير أبي السعود : 1 / 269 .
(3) ينظر : معاني القرآن ، الأخفش : 2 / 390 .
(4) ينظر : الكشاف : 2 / 669 .
(5) نظم الدرر : 11 / 422 . 423 .
(6) نظم الدرر : 11 / 423 .
(7) التحرير والتنوير : 20 / 23 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

3 . العدول عن التواعد إلى الميعاد :

قال تعالى : [**إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً**] (سورة الأنفال / 42) .

نزلت في معركة بدر، يخاطب فيها الله Y المؤمنين بأنّه " لو كان اجتماعكم في الموضع الذي اجتمعتم فيه ، أنتم أيّها المؤمنون وعدوكم من المشركين ، عن ميعاد منكم ومنهم [**لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ**] لكثرة عدد عدوكم ، وقلّة عددكم ، ولكنّ الله جمعكم على غير ميعاد بينكم وبينهم [**لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا**] وذلك القضاء من الله كان نصرُه أولياءه من المؤمنين بالله ورسوله ، وهلاك أعدائه وأعدائكم ببدر بالقتل والأَسر " (1) . فالخلاف الحاصل سيكون في الميعاد أي لاختلفتم في زمان القتال ، حتى وإن " أعلم كل منكم الآخر بالخروج للقتال [**لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ**] ، أي لتخلّفتم عن الميعاد أي المواعدة أي التواعد بمعنى أنكم لم توفوا بما أعلمتم به بل تتخلفون عن الخروج ، فالميعاد معناه التواعد " (2) ، والميعاد في اللغة : المواعدة ووقتها ومكانها (3) . وبذلك يتبين أنّ الاختلاف يكون في زمان المواعدة ، وليس الاختلاف في أنهم يتواعدون أم لا يتواعدون ، ولذا قيل : إنّهم لو تواعدوا القتال بعدما عَلِم كلُّ طرفٍ حالَ الطرف الآخر لحدث الاختلاف في الميعاد هيبة من العدوّ ويأساً من الظفر عليهم(4) .

إذن فالعدول عن التواعد إلى الميعاد للدلالة على أن المراد زمان الوعد ، لا حقيقة التواعد ،فالمراد زمان وقوع الحدث ، وهو التواعد ،لاوقوع الحدث مجرداً من الزمان ؛ ولذا ورد بصيغة (الميعاد) الدالة على توكيد زمان الوعد، إذ لم يأتِ في القرآن الكريم إلاّ للدلالة على الزمان (5) .

---

(1) جامع البيان : 13 / 565 .

(2) حاشية الجمل : 1 / 246 .

(3) مختار الصحاح : ص 700 ؛ وينظر : اللسان : 4 / 478 .

(4) ينظر : روح المعاني : 10 / 7 .

(5) ينظر : سر الاعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن ، د . عودة الله منيع القيسي : ص 192 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

سادساً . العدول عن التفعل :

وردت ستة نماذج على هذا النوع من العدول ، وقع البحث على ثلاثة منها وهي : العدول عن التبتُّل إلى التبتيل ، والعدول عن التقبّل إلى القبول ، والعدول عن التقوّلات إلى الأقاويل ، وهذه النماذج تُعبّر عن سرّ العدول عن التفعّل إلى غيره من الصيغ غير المقيسة عليه .

1 . العدول عن التبتُّل إلى التبتيل :

قال تعالى مخاطباً النبي (ρ) في بداية البعثة : [**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً**] (سورة المُزّمِّل / 8) .

يلحظ في الآية مجيء [**تَبْتِيلا**] معدولاً به عن المصدر المقيس للفعل (بتّل) وهو (التَبَتُّل) ، وقد جاء اختيار هذه العبارة الدقيقة للإشعار بأَنّ (التبتل) وهو الإنقطاع إلى الله Y بالعبادة ، هو المقصود بالذات أولاً ، ثم جاء ذكر (التبتل) وهو التصرف والانشغال بالعبادة ثانياً للإشعار أنه لابُدّ منه ولكنه مقصود بالغرض [1] . وليس المقصود الإتيان بـ (تبتيلاً) ؛ لأن معنى تبتّل بَتَّل نفسه ، مراعاةً لحقّ الفواصل [2] . ولكنّ المقصود معنويّ أَشار إليه ابن القيّم : " ومصدر تبتَّل إليه (تَبُتّل) كالتعلم والتفهم ولكن جاء على (التفعيل) مصدر (فعّل) لسِرّ لطيف . فإن في هذا الفعل إيذاناً بالتدريج والتكلف والتعمّل والتكثر والمبالغة . فأَتى بالفعل الدال على أحدهما وبالمصدر الدال الآخر فكأنه قيل : بتّل نفسك إلى الله تبتيلاً وتبتّل إليه تبتُّلاً فَفُهم المعنيان من الفعل والمصدر " [3] . وفيه ملحظ تربوي وهو الجمع بين معنى التدرج في صيغة (تبتل إليه) ، والتكثير في صيغة (تبتيلاً) " إذ الأصل أن يتدرج الإنسان من القلّة إلى الكثرة والمعنى أحمل نفسك على التبتّل والانقطاع إلى الله في العبادة شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى الكثرة "

(1) ينظر : التفسير الكبير : 30 / 178 .
(2) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : 19 / 30 .
(3) التفسير القيم، ابن قيّم الجوزية : ص 501 . 502 ؛ وينظر : التعبير القرآني ، د . فاضل السامرائي : ص 35 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

[1] . وهنا تكمن فائدة العدول وهي تضمين معنى الفعلين وذلك عن طريق المجيء بالمصدر معدولاً به عن القياس ، " فالسالك إلى الله لا غنى له عن تكلف التبتّل ومحاولته ليحمل نفسه عليه لثقله عليها أول أمره ، ولابد من إكثار التبتّل ومحاولته حتى تعتاده النفس وتطاوع له " [2]

2 . العدول عن التقبّل إلى القبول :

قال تعالى في قصة (مريم) (عليها السلام) : [**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ**] (سورة آل عمران / 37) .

وذلك بعد أن نذرت امرأة عمران ما في بطنها لله ، وبعد أن وضعتها أنثى قال تعالى : [**إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**] (سورة آل عمران / 35) .

ويلحظ إخراج المصدر على غير لفظه ، إذ القياس (فَتَقَبَلَها رَبُّها بِتَقَبُّلٍ) ، والعرب تأتي بالمصادر على أصول الأفعال وإن اختلفت ألفاظها في الأفعال بالزيادة [3] . وقد ذكر الزمخشري في (قَبول) وجهان : أحدهما أن يكون اسم ما تقبل به الشيءَ كالسَّعُوط لما يُسْعَطُ به ؛والثاني:أن يكون مصدراً على تقدير حذف المضاف ، أي : فتقبلها بذي قبول أي بأمرٍ ذي قبول ، في كلا الوجهين يكون المعنى الاختصاص، وهو : إقامتها مقام الذكر في النذر [4] . والصحيح أن (قَبَول) مصدر (قَبِل) وهو مذهب سيبويه في أَنَّ هناك خمسة مصادر جاءت على وزن (فَعُول) وهي : قَّبُول ، وطَهُور ، ووَضُوء ، ووَقُود ، ووَلُوغ . ولكنّ الراجح أنه عدول عن المصدر المقيس (تقبُّل) إلى مصدر الثلاثي (قَبِل) لإرادة الإشارة إلى معنى صيغتي (تَفَعَّل) و (فَعَل) ، ففي معنى (التفعّل) دلالة على شدة اعتناء الفاعل بإظهار الفعل ، يقال : تصبّر أي : جَدّ واجتهد في إظهار الصبر ، وكذلك (التقبُّل) يدل على المبالغة في إظهار القبول [5] . قال الرازي : " فإن قيل لِمَ لَمْ يقل : فتقبلها ربُّها بتقبّل حَسَنٍ حتى

---

(1) التعبير القرآني ، السامرائي : ص 35 .
(2) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، هنداوي : ص 167 .
(3) ينظر : جامع البيان : 6 / 344 .
(4) ينظر : الكشاف : 1 / 357 .
(5) ينظر : التفسير الكبير : 8 / 29 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تصير المبالغة أكمل ؟ والجواب أن لفظ التقبّل وإن أفاد ما ذكرنا إلاّ أنه يفيد نوع تكلف على خلاف الطبع ، أما القبول فإنّه يفيد معنى القبول على وفق الطبع ، فذكر التقبّل ليفيد الجد والمبالغة ،ثم ذكر القبول ليفيد أنّ ذلك ليس خلاف الطبع بل على وفق الطبع، وهذه وإن كانت ممتنعة في حق الله تعالى ، إلاّ أنها تدل من حيث العناية على حصول العناية العظيمة في تربيتها " [1] . هذا فضلاً عن ما في صيغة (التفعّل) من معنى التَدرُّج والتتابع ، ففي استعمال صيغة (التفعّل) : اشعار في معنى التدرج والتطور ، والزيادة في كل طور تتطور إليه ، فضلاً عن معنى التواصل والتتابع ، حتى ظل بركة تحريرها متجدداً لها في نفسها وعائداً بركته على أُمّها حتّى ارتقت إلى العلوّ المحمدي فكانت من أزواجه ، ومن يتصل به [2] . قال أبو السعود : " وإنما عدل عن الظاهر للإيذان بمقارنة التقبُّل لكمال الرضا وموافقته للعناية الذاتية " [3] .

3 . العدول عن التَقَوّلات إلى الأَقَاويل :

قال تعالى : [**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ∃ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ∃ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ∃ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ**] (سورة الحاقة / 44 . 47) .

قال الزمخشري : " التقوّل : افتعال القول ، كأنه فيه تكلفاً من المُفْتَعِل ، وتسمى المتقولة (أقاويل) تصغيراً لها وتحقيراً ، كقولك : الأعاجيب والأضاحيك ، كأنّها جمع أفعولة من القول والمعنى لو ادّعى علينا شيئاً لم نقله لقتلناه صبراً ، كما يفعل الملوك بمن يتكذّب عليهم معالجة بالسخط والانتقام " [4] . والمقصود بالخطاب النبي (ρ) أَنّهُ لو تقوّل على الله شيئاً من غير القرآن لعاقبه [5] ، ومعنى (تقوّل) : تكلّف وأَتى بقول من قبل نفسه [6] ، أي افتراه " وسُمّي الافتراءُ تقوّلاً لأنّه قول مُتكلَّف وكل كاذب يتكلّف ما يكذبه " [7] ، ولما كان التقوّل بمعنى (الكَذِب) عُدّي بـ (على) [8] .

---

(1) التفسير الكبير : 8 / 30 .

(2) ينظر : نظم الدرر : 4 / 356 .

(3) تفسير أبي السعود : 2 / 20 .

(4) الكشاف : 4 / 607 ؛ والتفسير الكبير : 30 / 118 .

(5) ينظر : المحرر الوجيز : 15 / 80 .

(6) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : 18 / 187 .

(7) فتح البيان : 14 / 303 .

(8) ينظر : التحرير والتنوير : 29 / 145 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وأمّا (الأقاويل) المعدولة عن القياس وهو (التقوّلات) فقد قيل : إنّها جمع الجمع [1] ؛ وهو (أقوال) التي هي جمع (قول) ، وقد رجّحه البقاعي " لأنه يلزم أن لا يعاقب بما دون ثلاثة أقوال " [2] على اعتبار دلالة (الأقاويل) على الكثرة ، قال ابن عاشور : " الأقاويل : جمع أقوال الذي هو جمع قول ، أي بعضاً من جنس الأقوال التي هي كثيرة فلكثرتها جيء لها بجمع الجمع الدال على الكثرة، أي : لو نسب إلينا قليلاً من أقوالٍ كثيرة صادقة ؛ يعني لو نسب إلينا شيئاً قليلاً لم نُنزّله لأخذنا منه باليمين " [3].

وقيل : إنّ (الأقاويل) جمع (أقوولة) على مثال أُضحوكة مفرد أضاحيك ؛ " وسمّى الأقوال المتقوّلة (أقاويل) تصغيراً لها وتحقيراً " [4]، فيكون المعنى : أنه لو نسب إلينا قولاً صَغيراً في القرآن لَمْ نَقُلْهُ ، ولم نأذن في قوله لأخذنا منه باليمين ، أي بالقوة [5] .

(1) ينظر : البحر المحيط : 8 / 329 ؛ ونظم الدرر : 20 / 380 ؛ والتحرير والتنوير : 29 / 145 .
(2) نظم الدرر : 20 / 380 .
(3) التحرير والتنوير : 29 / 145 .
(4) الكشاف : 4 / 607 .
(5) ينظر : حاشية الجمل : 4 / 403 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

سابعاً . العدول عن الافتعال :

جاءت أربعة نماذج على هذا النوع من العدول وهي : العدول عن الاختيار إلى الخيرة ، والعدول عن الارتياب إلى الرَّيْب ، والعدول عن الاغتراف إلى الغرفة ، والعدول عن الاتقاء إلى التُقاة ، وقد وقع البحث على نموذجين منها وهو العدول عن الاختيار ، والاتقاء .

1 . العدول عن الاختيار إلى الخيرة :

قال تعالى : [**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**] (سورة القصص / 68) .

والمعنى : أنّ الله سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء ويختار من يشاء ، وليس لأحدٍ أن يختار على الله ، فتكون (ما) في [**مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ**] نافية [1] . أي : " لا نرسل الرسل على اختيارهم هم " [2] . وقد وجّه الطبري معنى الخِيَرة إلى كونها الشيء الذي يَختار من البهائم والأنعام والرجال والنساء على نحو قولهم : فلان أُعطيَ الخِيرة وليس الاختيار فيكون التوجيه : " وربّك يخلق ما يشاء ، ويختار ما يشاء ، لم يكن لهم خيرُ بهيمة ، أو خير طعام ، أو خير رجل أو أمرأة " [3] ، والأرجح أن المراد أن الله هو " الذي يُوقع الاختيار لما يشاء فيريد الكفر للأشرار، والإيمان للأبرار، لااعتراض عليه ، فلرُبما ارتدّ أحدٌ ممن أظهر المتاب ،لما سبق عليه من الكتاب فكان من أَهل التباب " [4]، فالله يختار ما يشاء اختياره من غير ايجاب عليه ولا منع عليه أصلاً [5] . ولمّا كان هذا المعنى هو المراد نفى الله Y عن خلقه الاختيار والخيرة ، فالاختيار : طلب ما هو خير وفعله ، والخِيرة : الحالة التي تحصل للمستخير والمختار ، أي ان

---

(1) ينظر : معاني القرآن واعرابه ، الزجاج : 4 / 114 ؛ وتفسير السمرقندي المسمى بـ (بحر العلوم) ، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن ابراهيم السمرقندي : 2 / 524 .
(2) تفسير السمرقندي : 2 / 524 .
(3) جامع البيان : 20 / 102 .
(4) نظم الدرر : 14 / 339 .
(5) ينظر : تفسير أبي السعود : 7 / 22 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

(الخِيَرة) : اسم هيئة نحو : الجِلْسة ، والقِعْدة لحال الجالس والقاعد [1] . ومعنى الخيرة : " أن يفعلوا أو يُفعل لهم كل ما يختارونه " [2] .

وفي العدول عن (الاختيار) المصدر المقيس لـ (اختار) إلى (الخِيَرة) نكتة دلالية ، وهي إرادة نفي تحقق الاختيار والخيرة معاً عن الخلق وإثباتها لله وحده ، إذ لا يمكن أن يحصل اختيار من دون خِيَرة ، " فهو تعبير بالمسبب عن السبب لأنه إذا خلي عنه كان عقيماً فكان عدماً " [3] ، ولذا جاء لفظ (يختار) مقترناً بالخلق ، لبيان أنه كما الخلق خاصٌ بالله Y فكذلك الإختيار [4] ، فالخَلْق " لَيْسَ لهم اختيار في خلق أيّ شيء ، ولا أن يقترحوا على الله أن يخلق ما يختارونه " [5] .

2 . العدول عن الاتقاء إلى تقاة :

قال تعالى : [**لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنْ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ**] (سورة آل عمران / 28) .

والتقية المقصودة في الآية التقية من الكفّار لا من غيرهم [6] . بحيث تكون تلك الموالاة مخالفة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء ، وانتظار زوال المانع ،ويكون ذلك عندما يُخاف من جهة أمر يجب اتقاؤه [7] ؛ولذا عُدِّي الفعل (تتقوا) بـ (من) لتضمنه معنى تخافوا او تحذروا [8] . فتكون (تقاة) مصدراً [9] . ونصبها إنما جرى على المصدرية " والتقدير : تتقوا منهم اتّقاء ، فتقاة واقع موقع الاتقاء والعرب تأتي بالمصادر

---

(1) ينظر : المفردات : ص 301 .
(2) نظم الدرر : 14 / 339 .
(3) م . ن : 14 / 339 .
(4) ينظر : التحرير والتنوير : 20 / 165 .
(5) معارج التفكر ودقائق التدبر ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : 9 / 450 .
(6) ينظر : جامع البيان : 6 / 316 .
(7) ينظر : الكشاف : 1 / 351 ؛ وفتح البيان : 2 / 215 .
(8) ينظر : تفسير البيضاوي : 2 / 12 .
(9) حاشية الكازروني : 2 / 12 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

نائبة عن بعضها والأصل تتقوا اتقاء " [1] ، فـ (تقاة) مصدر وأصلها : " وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تَؤُدَة وتخمة والياء ألفاً " [2] ، فعلى هذا الأساس لا تكون (تقاة) اسم مصدر للإتقاء كما ذهب إلى ذلك ابن عاشور [3] . وإنما تكون مصدراً معدولاً به عن المصدر المقيس (اتقاء) للدلالة على الجمع بين معنيَيْ الاتقاء والتقاة ، فالاتقاء هو تجنب المكروه ، وهو حاصل في (تتقوا) ، ومعنى (تقاة) الوقاية والحفظ . كأنما يتحصل الحفظ والوقاية بتجنّب المكروه . هذا فضلاً عن تخصيص نوع الاتقاء المراد بكونه (تقاة) واحدة تزول عند زوال المانع وهو ما يحصل من جهته الخوف ، وتتبيّن دلالة العدول في قوله تعالى : [**اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**] (سورة آل عمران / 102) في كونها جاءت للزيادة في توكيد الفعل لدى المخاطبين الذي هو (اتقوا) [4] ، فالطلب حاصل في تحقق التقوى حقيقةً وليس مجرد الاتقاء .

ثامناً . العدول عن الاستفعال :

(1) حاشية الجمل : 1 / 258 . 259 .

(2) تفسير البيضاوي : 2 / 34 .

(3) التحرير والتنوير : 3 / 220 .

(4) ينظر : الخلاف الصرفي في ألفاظ القرآن الكريم ، أطروحة دكتوراه ، تقدم بها كاطع جار الله سطام الدراجي ، إلى كلية التربية (ابن رشد) . جامعة بغداد ، سنة 2000 : ص 42 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

. العدول عن المستعتبين إلى المعتبين :

ورد نموذجٌ واحدٌ في هذا النوع من العدول في القرآن الكريم ، وهو العدول عن اسم المفعول من (استعتب) ، إلى اسم المفعول من (أعتب) .

قال تعالى : [**فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ**] (سورة فصّلت /24) . وهذا عدول عن القياس ، قال الطبري : " وإن يسألوا العُتبى ، وهي الرجعة لهم إلى الذي يُحبون بتخفيف العذاب عنهم [**فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ**] يقول : فليسوا بالقوم الذين يُرجع بهم إلى الجنة ، فيخفف عنهم ما هم فيه من العذاب " (1) . أي أن (يَسْتَعْتِبُوا) تدل على السؤال والطلب وهو بمعنى طلب العُتبى وهي الرجوع ، إذ إنّ صيغة (استفعل) تدل على الطلب ، ومعنى (المُعْتَبِين) : لم يُعتبوا ، أي : لم يُعطوا العُتبى (2) . قال أبو حيان : " وإن طلبوا العُتبى وهي الرضا فما هم ممّن يُعطاها ويستوجبها " (3) .

والعَتَبُ في اللغة : كل مكان نابٍ بنازلةٍ ، ومنه قيل : للمرقاة ، ولأسكفّة الباب ، عَتَبَةٌ ، ثُمَّ استعير العَتْبُ والمَعْتَبَةُ : لغلظةٍ يجدها الانسان في نفسِه على غيره ، وأصل اشتقاقه من (العَتَب) ، فيقتال : أَعْتَبْتُ فلاناً ، أي : أظهرتُ له الغِلظة التي وجدت في الصدر ، وأعتبتُه حَمَلْتُه على العَتب ، ويقال كذلك ، أعتبته : أزلتُ عَتَبَهُ عنه نحو : أشكيتُه ، أي: أَزلتُ عنه شكواه (4). فلمّا كان العَتْب بهذا المعنى انتقل إلى معنى الرضا، فيكون معنى (استعتب) : طلب الرضا، و (أَعْتَبَ) : رَضي، أي أُزيل عَتَبه . فيقال: استعتب طلب أن يُعْتَب ، ومنه قيل : استعتبته فأَعتبني ، أي : استرضيته فأرضاني (5) . فيكون معنى الآية إنْ " يطلبوا زوال العَتْب ، وهو المؤاخذة بالذنب [**فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ**] أي المرضيين الذين يُزال العَتْب عنهم ليُعفى عنهم ويُترك عذابهم " (6) ، وبذلك يتبين سر العدول عن (المستعتبين) إلى المعتبين مع أنّه القياس ، وهو اختلاف دلالتي كل من (استعتب) و (أَعتب) ، ففي الأولى دلالة الطلب ، وفي الثانية دلالة الإزالة ، فلمّا كان

(1) جامع البيان : 24 / 110 .

(2) ينظر : الكشاف : 4 / 196 ؛ والتفسير الكبير : 27 / 118 ؛ وتفسير البيضاوي : 4 / 117 .

(3) البحر المحيط : 7 / 493 .

(4) ينظر : المفردات : ص 600 .

(5) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : 15 / 231 .

(6) نظم الدرر : 17 / 174 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المراد : إن يسألوا العُتبى وهي رجوع المعتوب عليه إلى ما يُرضي العاتب ، فما هم من الذين يُقبل عتابهم [1] ، عدل عن صيغة (المستعتبين) ، إذ لا يتحقق المعنى حينئذٍ ، فالرضى في العتاب يكون بصيغة (أعتب) التي تدل على إزالة ما كان من أجله العَتْب .

(1) ينظر : التحرير والتنوير : 24 / 273 .

This file was downloaded from QuranicThought.com